سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة

دراسة في مبادئ البحث اللغوي النفسي

The Psychology of Language and Contemporary Linguistics

A Study in the Principles of Psychological Linguistic Research

د. عزيز كعواش [1]

[1]قسم الآداب واللغة العربية

[1] جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر

تاريخ الاستلام : 26-11-2019؛ تاريخ المراجعة : 19-11-2020؛ تاريخ القبول : 30-06-2021

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أن مباحث علم النفس ومجالاته اليوم هي أكثر العلوم تداخلا وتأثرا بمناهج علم الألسنية الحديث. فقد شكلت اللغة حيزا معرفيا نال اهتمام علماء النفس، كونها إحدى مظاهر السلوك الإنساني. بل أولى علماء النفس اهتمامهم زمنا طويلا للظواهر اللسانية، وذلك أنهم عدوها مصادر موثوقا بها للمعلومات في موضوعات متنوعة ذات أهمية بالغة للدراسات النفسية، وستنتهي حينها بنا نتائج الدراسة إلى التقاطع الشديد بين خيوط الدرس النفسي مع تلك اللسانية. وقد يفرز ذلك التقاطع منوالا مركبا ينعت منهجيا في دراساتنا اللغوية الحديثة بعلم اللغة النفسي أو علم النفس اللساني.

الكلمات المفتاحية: تواصل؛ سلوك؛ اكتساب لغوي؛ نفس ولغوية.

Abstract:

This study aims to reveal that the subjects of psychology and its fields today are the most intrusive and influenced science curricula of modern linguistics. Language has been an area of knowledge that has attracted the attention of psychologists, being a manifestation of human behavior. Rather, psychologists have long paid attention to linguistic phenomena, as they are the enemy of reliable sources of information in a variety of topics of great importance for psychological studies. This intersection may produce a complex methodology that qualifies methodically in our recent linguistic studies by psycholinguistics or linguistic psychology.

Keywords: Communication; Behavior; Linguistic acquisition; Linguistic Psychology.

1 - مقدمة

لقد بات تشابك العلوم وتداخل مجالاتها البحثية سمة الدرس المعرفي الحديث، فالعلوم في اقترابها من حقيقة الظاهرة المدروسة تنفتح أمامها فضاءات أخرى للبحث قد تكون متصلة أو متشابكة مع غيرها، فتزيد وقتئذ إشكالية الدراسة تشعبا أو غموضا. وإن الظاهرة الاتصالية اللغوية في البحوث اللسانية المعاصرة، أضحت لا تنفك عن هذه السمة والاستعانة بحقائق المعارف الأخرى التي تتقاطع معها وترتبط بها. ولعل سبب ذلك ومحوره ما يذهب إليه اللغويون على الدوام « أن اللسانيات قد أصبحت في حقل البحوث الإنسانية مركز الاستقطاب بلا منازع. فجل العلوم صارت تلتجئ - سواء في مناهج بحثها أو تقدير حصيلتها العلمية- إلى اللسانيات، وإلى ما تقرره من تقريرات علمية وطرائق في البحث والاستخلاص ». (بوحوش، 2006، صفحة 14)

إن الدراسات الإنسانية الحديثة قد تبنت مبادئ اللسانية الغربية حينما انتهجت جميع العلوم الإنسانية في أوروبا في نهاية الأمر حقل اللسانيات، وأمست مبادئها الركائز الأساسية لمجالات المعارف الأخرى. وهي اليوم « موكول لها مقود الحركة التأسيسية، لا من حيث تأصيل المناهج وتنظير طرق إخصابها فحسب، بل من حيث إنها تعكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعا». (مصلوح، 2002، صفحة 11) واللسانيات كانت سباقة إلى اتخاذ اللغة كمادة وموضوع للدراسة، وقد حاكتها علوم أخرى في دراسة اللغة كمادة لها أيضا، تتقاطع منهجيا مع اللسانيات في دراسة اللغة، (لوشن، 2001، صفحة 159) متخذة طرائق ومبادئ لسانية في هذه الدراسة.

وعلم اللغة النفسي من بين تلك العلوم الحديثة التي ولجتها اللسانيات الحديثة دراسة وتحليلا واستنباطا، وهي التي لم تتضح معالمها ولم تستقل استقلالا تاما إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك إثر ظهور الاتجاه المعرفي الفطري في علم اللغة الذي يعد ثمرة الالتقاء الحقيقي بين علم اللغة وعلم النفس.

إن تحديد اهتمامات علم اللغة النفسي ومجالات البحث فيه، إنما يكون بالنظر إلى المشكلات التي يطرحها والحلول التي يقترحها لهذه المشكلات، أو من خلال الإجابات التي تشغل بال الباحثين. وقد نتصور في دراستنا هذه تساؤلات كثيرة تصب في هذا الاهتمام، ويمكننا عرضها كما يلي:

ما العمليات العقلية التي يتمكن بها الناس من قول ما يريدون قوله. أي كيف يستطيع الفرد استخدام معرفته اللغوية حين إنتاج الكلام وفهمه؟. وهذا يرتبط بالوظيفة التي تؤديها اللغة حين نتكلم ونسمع ونقرأ ونكتب، وربما حين نفكر. وما العمليات العقلية التي يتمكن بها الناس من إدراك وفهم ما يسمعونه، أي إدراك الكلام ؟. وكيف يمكن للفرد اكتساب المعرفة اللغوية والقدرة التي تمكنه من استخدامها؟.

2 - علم اللغة الحديث والظاهرة النفسية

جعل علم اللغة الحديث من الظاهرة النفسية بكل أبعادها وفي احتكاكه بعلم النفس موضوعا ودرسا له ومجالا خصبا لتحليل ظاهرة اللغة، حيث يتناول اللغة بوصفها ظاهرة لها صلات مرتبطة مع تلك العوالم الداخلية للنفس البشرية.

وعلم اللسانيات النفسانية Psycholinguistique واحد من أحدث التخصصات اللسانية في الدرس اللغوي الحديث. وقد أطلق على مصطلح علم النفس اللغوي بالإنجليزية (Psychologicol linguistics)، ويسمى أحيانا (psychology of language). أما علم اللغة النفسي فعرف باسم مصطلح (Psycholinguistics). حيث الأول يكون فيه الباحث من المشتغلين بدراسات علم النفس ويستعين بما في "علم اللغة " ليوجه المشكلات التي تتقاطع مع الدرس اللغوي، أما المصطلح الثاني فللمهتمين بالدراسات اللغوية ويلجأ فيه اللسانيون إلى معطيات "علم النفس " في تجاوز العوائق التي يتعرضون لها في أبحاثهم. (ياقوت، 2003، صفحة 180)

بدأت معالم علم اللسانيات النفسية بالظهور أولا في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم شاع وانتشر بين اللغويين الشغوفين بالمجالات والأبحاث النفسية، والذين نظروا بوعي واهتمام إلى ظاهرة الكلام الإنساني وما له من صلات نفسية

وعقلية داخل الكيان البشري. ثم تحول هذا التخصص الجديد دارسا وحسب حالة الإنسان أثناء عملية التواصل، فرسمت حدود هذه الدراسة بالنظر إلى الحالات العضوية والنفسية لإنتاج الكلام وإدراكه والمواقف العاطفية والذهنية تجاه حدث من أحداث التواصل.

أما علم النفس، فمجاله كيفية اكتساب اللغة وتعلمها ودراسة السبل التي بها يتم التواصل البشري عن طريق هذه اللغة. (مختار، 1988، صفحة 10)فالتعبير النفسي لدى الإنسان يقوم على أساس نزعات نفسية تختلف من فرد إلى آخر، كما أن السلوك اللفظي يختلف باختلاف نظرة الأفراد للأشياء والمفاهيم، (كريم، 2001، صفحة 72) واستجابة الفرد تكون بالنسبة للمعاني التي يراها هو مناسبة لهذا المفهوم أو ذاك. ومن هنا ينشأ الاختلاف في السلوك اللفظي، لأن كل فرد يفكر فيما يراه هو حقيقة الأشياء والموضوعات. وبالرغم من أن هذه المعاني لا تعد في الواقع الحقيقة ذاتها، لأن المعنى الذي يراه الشخص قد يخالف واقعه. ومثال ذلك عبارة " الجو حار"، لا تعبر عن قراءة درجة الحرارة الراهنة كما هي بالفعل، أو كحقيقة علمية. ولما كانت هي حالة الفرد الذي يشعر بها هو ذاته بالنسبة لحرارة الجو فيعبر عنه بمعنى معين.

إن الدراسات اللغوية الحديثة وجهت البحث اللغوي النفسي لدراسة إشكالية اللغة وتعقيدات علم النفس، والعمليات العقلية التي تسبق صدور العبارات اللغوية المنطوقة، وأيضا إلى اكتشاف قوانين عامة لتفسير السلوك الإنساني من خلال ظواهر عامة مثل التعلم والإدراك والقدرات. فصارت أولى اهتمامات هذا العلم؛ دراسة « ما يربط الجهاز العصبي والجهاز النطقي، كما يعمل على كيفية تحويل المتحدث للاستجابة إلي رموز لغوية. فهذه العملية العقلية تفرز عنها إصدار الجهاز الصوتي للغة. وبدوره المتلقي يترجم ويحول هذه الرموز في ذهنه إلى المعنى المراد أو المقصود، وهنا تتم عملية عقلية أخرى ». (بلعيد، 2003، الصفحات 16 - 17)

ويعد فندرس "Vanders" (1875) في كتاباته اللغوية من الذين انتهجوا التفسير النفسي للظواهر اللغوية بصفة خاصة. وكان يلاحظ التقارب الحاد بين العمليات الكلامية العقلية بتلك الوجدانية النفسية. وانتهى بعد طول دراسة جازما أن كل حدث كلامي يحمل أثرا انفعاليا. فالحدث الكلامي عنده عبارة عن تعبير خاص ينتج انفعالا معينا، فلا يعطي شخص ما المعلومات ذاتها بطريقة واحدة إطلاقا. (إيفيتش، 2000، صفحة 132)

وإلى جانب فندرس خاض العديد من الباحثين اللغويين بعد ذلك مجال هذه الدراسة، وطرقوا أبواب البحوث النفسية يشاركون علماءها فيما له صلة بجوانب الكلام. وأخذوا يفصلون مجالات الاهتمام اللغوي عن قضايا البحوث النفسية، ويرسمون الحدود للعلم الجديد، ويستنتجون التعريفات التي أخذت في التميز عما ورد في دراسات علماء النفس الذين تنبهوا أيضا لتلك الجوانب اللغوية ذات الصلة بعوالم النفس. فحضي علم اللغة النفسي بعناية كبيرة من علماء النفس واللغويين معا أو ما يطلق عليهم النفس ولغويون.

ففي ألمانيا كان ويلهيلم فونت "Wilhelm Vundt" (1832) أول من أسس معملا لعلم النفس عام 1879. و هو أيضا أول عالم نفسي يكتب المقالات الطوال حول سيكولوجية اللغة، لكنها لم تلق العناية الكافية بها من طرف اللغويين، رغم ما تحويه من مناقشات وتفسيرات تفصيلية لجوانب مهمة من السلوك اللغوي. وكشف فونت عن طريق ملاحظات استبطانية عما أطلق عليه التفكير بدون صورة، وهو عبارة عن نوع من السلوك الذاتي الذي يلاحظ في عملية التفكير لا يمكن إدراجه تحت موضوعات علم النفس المعروفة كالإدراك والشعور. (حلمي، 2002، صفحة 94) وأثارت فكرة فونت بلبلة (جلال، 2003)حادة بين علماء عصره، وكثرت المناقشات الجادة وازدادت شدة واحتكاكا بموضوعات علم النفس. إذ توصلوا معها إلى وجود نزعات معينة واستجابات شعورية واستعدادات خاصة تلعب دورا رئيسيا في التفكير البشري عامة وفي السلوك اللغوي خاصة.

وتجمع ايفلين ماركوسين " EVELYN, MARCUSSEN " عدة جوانب في تعريفها لعلم اللغة النفسي، فتقول أنه:« دراسة اللغة الإنسانية وفهمها وإنتاجها واكتسابها ». (جلال، 2003، صفحة 441) وهذه العمليات يعنى بدراستها علم النفس أيضا، فيمكننا الاستخلاص بأن علم اللغة النفسي عند ايفلين ماركوسين يهتم بدراسة اللغة البشرية في نطاق يمليه عليها علم النفس.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فوصل الاهتمام باللغة ومجالات علم النفس فيها ذروته، وظهر عدد من مجلة علم النفس الأمريكي عام 1930 خصص جله لدراسة المشكلات المختلفة في علم اللغة النفسي وفي ظل ثنائية؛ لسان /كلام، ولاسيما ما يختص بمفهوم اللغة والكلام. وهنا كان التنبؤ بلقاء وشيك بين علماء النفس وعلماء اللغة. (جلال، 2003، صفحة 95)

وتدعم هذا المنهج بظهور أفكار واطسن "Watsan " (1878)، مؤسس علم النفس السلوكي. كان الفضل الكبير لهذه الشخصية في بناء علم نفس موضوعي، متخذا من الملاحظة أساسا ومن الاستبطان موقف عداء، مقتديا في ذلك بأوجست كونت مؤسس الحركة الوضعية. إذ كان كونت يعتقد (جلال، 2003، صفحة 30) أن المعلومات التي يحكم عليها بالصدق هي التي تأتي عن طريق الملاحظة الموضوعية، ومن ثمة فإن المعرفة المعتمدة على المنهج الاستبطاني يشوبها الكثير من الأخطاء، كما أبدى كونت إنكاره الشديد للفعل الفردي.

ظل واطسون دائم الرفض للبحث داخل العقل سواء عند الحيوان أو عند الإنسان، ولم يقبل حتى مفاهيم " الشعور" و " الدافع" و " الرغبة " وغيرها من المفاهيم العقلية. أما التعريف الذي فضله لعلم النفس فإنه: « فرع تجريبي بحت من العلوم الطبيعية » (شحاتة، 2005، صفحة 241)؛ فكان هدفه النظري هو التنبؤ بالسلوك والتحكم فيه. إن سلوكية واطسون جاءت موسومة باثنين من العلامات الرئيسية التي تحولت إلى مصطلحات مستعملة؛ المثير والاستجابة، وهي من الألفاظ التي لقيت سعة كبيرة عند واطسون. ومعنى المثير عنده، الحاصل في البيئة على العموم، أو أي تغيير فيها كان يمنع عن الحيوان الطعام. في حين تعني الاستجابة ما يفعله الحيوان مثل الابتعاد أو الاقتراب من مثير ضوئي، وقد تكون أكثر تعقيدا.

ومن بين ما ميز العطاء الواطسوني الفكري أنه حدد بشكل صريح مسلمات علم النفس، وقد جاء في مقدمتها أن السلوك« مكون من عناصر الاستجابة، ويمكن تحليله بواسطة مناهج البحث العلمي الموضوعي. يليها أن السلوك مكون أساسا من إفرازات غدية وحركات عضلية. ومسلمة أخرى أن هناك استجابة فورية من نوع ما لكل مثير، وحتمية قائمة بينهما- المثير والاستجابة- لتكون المسلمة الأخيرة هي العمليات الشعورية – حتى وإن وجدت- لا يمكن دراستها علميا » (جلال، 2003، صفحة 13).

و واطسون لا يعترف بمفهوم الغريزة ومظاهر السلوك التي تبدو غريزية في ظاهرها استجابات متعلمة، كما أنكر الخصائص الوراثية وأكد على إمكان تدريب الطفل أي شيء نريد. ويرى واطسون أن السلوك الإنساني ما هو إلا سلوك ديناميكي، وأن العقل لا يعد موضوعا مواتيا لدراسة علم النفس. لأن« أي ملاحظات على العقل تعد ذاتية، وهو يقترح دراسة السلوك الظاهري فحسب والعلاقة بين المثير والاستجابة ». (خليل، 1998، صفحة 143) وبناء على هذا التصور، فإن اللغة سلوكا ظاهريا فسرت على ضوء المذهب السلوكي تفسيرا بسيطا للغاية. فهي عبارة عن مجموعة من ردود الأفعال المشروطة.

وأما العلاقة الفعلية التي نشأت بين علمي اللغة والنفس، أرجعت إلى حامل لواء السلوكية اللغوي الأمريكي ليونارد بلومفيلد " L.Bloom fielled" (1887) . (جلال، 2003، صفحة 441) الذي مزج دراسة اللغة بمعطيات علم النفس، وقد جلا ذلك بصورة واضحة في كتابه الرائد الموسوم بـ "مدخل إلى دراسة اللغة"، وقام بمراجعته وإخراجه تحت عنوان: " اللغة " « Language » الذي يعد مرجعا مهما في الدرس اللساني الأمريكي. (مومن، 2002، صفحة 193) وبلومفيلد من

المتأثرين بالمنهج السلوكي، وقد انتهى إلى اعتبار "علم النفس السلوكي" الطريقة المثلى والوحيدة التي يمكن من خلالها وعلى ضوئها دراسة الدلالات اللغوية. وعلامة ذلك توقفه أمام الحدث الكلامي، (ياقوت، 2003، صفحة 166) وتأثره بعالم النفس السلوكي بول ويس " Bol Weiss (1901) " في كتابه " الأصول النظرية للسلوك الإنساني". حيث يرى إمكانية وصف السلوك البشري وذلك« بصدد النظر إلى الظواهر الفيزيولوجية وغيرها من الظواهر التي تصحب سلوك الأفراد». (خليل، 1998، صفحة 96) ولما كانت اللغة عنده كغيرها من الظواهر الإنسانية التي تندرج تحت مظاهر السلوك، فإنه ما يصدق على دراسة السلوك يصدق عليها هي الأخرى.

ومن الذين ساهموا أيضا في إرساء دعائم علم اللغة النفسي ونشأته بعد بلومفيلد، سكينر " Skiner " (1904) صاحب الاشتراط الإجرائي من خلال كتابه "السلوك اللفظي " ليبلور فيه النظرة السلوكية للغة. (لوشن، 2001، صفحة 166) ويعد سكينر أحد وجوه علم النفس المعاصر، فهو قائد السلوكية لسنوات عديدة في أمريكا بلا منازع. وإن أشد ما اهتم له سكينر هو وصف السلوك الذي يمكن إخضاعه للملاحظة، لذلك فإن النسق الذي يتبعه دوما ينتمي إلى السلوكية الوصفية. وهو يعتقد أن عمل البحث العلمي إقامة علاقات وظيفية بين ظروف المثير المنضبطة تجريبيا وبين استجابة الكائن الحي. وقد أطلق على سلوكية سكينر " بأسلوب الكائن الحي الفارغ "، إذ ليس هناك شيء داخل الكائن الحي له فائدة في شرح السلوك، كونه خاضع لقوى العالم الخارجي. وفي هذا يقول: « إن الكائن الحي الإنساني هو عبارة عن آلة ومثله مثل أي آلة أخرى ». (شحاتة، 2005، صفحة 361)

ومما جاء به سكينر نظرية الاشتراط الإجرائي "الفعال"، فحينما تعلم كلبا أن يتدرج أو طفلا أن يرقص أو أن يركب دراجة، فإنك تستخدم طريقة الاشتراط الإجرائي؛ ذلك أن ما يمكن فعله غالبا في هذه الحالات هو أن « تستخرج الكلب أو الطفل ليقوم بما تريده أن يقوم به ثم تكافئه بعد ذلك إما بقطعة من العظم أو بقطعة من الحلوى ». (جلال، 2003، صفحة 243) والهدف من هذا الاشتراط هو تعليم الكائن على أن يسلك سلوكا ما، وفيه تكون الاستجابة تبدو وكأنها تلقائية بحيث لا يمكن ردها إلى مثير ملحوظ؛ بمعنى أنه ليس هناك منبه يمكن اعتباره سببا لتلك الاستجابة بالذات.

يشير سكينر نفسه إلى مستويين من السلوك اللغوي يرتكز أحدهما على الآخر؛ فالنسق الأعلى يوجه ويغير الأسفل. إلا أنه يرفض تقديم أي اختلاف أو تباين في العمل لكلا النسقين بقوله:« إن المستوى الأعلى يمكن أن يفهم فقط بدلالة علاقاته بالأدنى، وحتى التداول المعقد جدا للتفكير اللفظي يمكن أن يحلل بدلالة السلوك الذي يستدعي evoked أو يعمل في السلوك الآخر للمتكلم ». والسلوك اللفظي في نظره هو سلوك انبعاثي، يتدعم بالمستمع ثم ينمو طبقا لنفس مبادئ السلوك الإجرائي الآخر، والتدعيم في الاشتراط الإجرائي هو:« أي حدث يمكنه أن يزيد من إهمال صدور الاستجابة التي تنتج هذا الحدث ». (شاكر، 1992، الصفحات 32 - 34)

لقد ظل سكينر من أبرز المنظرين المرتبطين بالتفسير السلوكي لنمو الكلام واللغة. وهو من طور هذه النظرية وأسقط معطياتها على عملية التعليم. ونظر إلى الكلام باعتبار سلوكا متعلما؛ بل كل السلوكيات المتعلمة عنده تقوم على أساس مبادئ المتعلم أو الاشتراط الإجرائي. (لوشن، 2001، صفحة 392) والتعلم عند سكينر يطلق عليه مصطلح " القوة الإجرائية "، فقد اهتم بملاحظة ما الذي يحدث بعد الاستجابة. في حين الشروط التي تزيد من احتمال التكرار للاستجابة فهي مقياس للقوة الإجرائية. (جلال، 2003، صفحة 393)

ومن خلال جهود سكينر ونظريته في التعليم، ذهب الدارسون إلى أن علماء النفس الذين درسوا اللغة قد تأثروا بمؤثرين أساسيين هما: « نظرية التعلم ونظرية الاتصال التي تبحث في عملية الاتصال بعامة والاتصال اللغوي بخاصة». (لوشن، 2001، صفحة 166) وبموجب التأثر بهاتين النظرتين اكتمل تأسيس علم اللسانيات النفسانية.

ومما زاد في بلورة واستقلال علم اللغة النفسي، وأصبح له أدواته العلمية وإجراءاته التطبيقية، ظهور النظرية التوليدية التحويلية على يد تشومسكي "Chomsky " المولود سنة 1928 من خلال كتابه " الأبنية النظامية ". ليفتح بابا أمام النظرة الجديدة للسلوك اللغوي. يقول ليونز "Lyonze " (1932):« إن لتشومسكي يرجع الفضل أولا وأخيرا في نشأة علم اللغة النفسي». (جلال، 2003، صفحة 441) وذلك من خلال أفكاره ونظرياته الثورية التي وطدت أركان علم اللغة النفسي وأعلت من بنيانه.

والطفرة التي أحدثتها هذه النظرية، أنها وضعت مفهوما للغة يعقد الصلة بين التحليل اللغوي وجوانب معنية في كل من نظريتي التعلم والمعلومات. حيث يرى تشومسكي (حلمي، 2002، صفحة 99) أن نظرية التعلم القائلة بالعلاقة الشرطية بين المثير والاستجابة، لا تصلح لتفسير قدرة المتكلم على استخدام اللغة. ويرى أيضا من الجانب النفسي المتعلق بعملية اكتساب اللغة لدى الطفل، أن عقل الطفل يحتوي على خصائص فطرية أو ملكة تمنحه القدرة على تعلم اللغة البشرية. وبذلك فهو مهيأ ليكون قواعد لغته من خلال الكلام الذي يسمعه بصورة إبداعية لا تقليد. وهذا يعني أن الطفل قادر على تأليف جمل صحيحة نحوية لم يسمع بها من قبل.

وبهذا فإن تشومسكي ينتقد التقليد الذي نادت به النظرية السلوكية والتي استقر عليها الفكر اللغوي من حيث هي التفسير المقبول لعملية الاكتساب. إن نظرية تشومسكي وتحليلاته النفسية ومحاولاته ربط اللغة بالبحوث النفسية وإثارة مناقشات حادة عنيفة، سواء في أصولها النفسية أو العقلية أو في رؤيتها لعملية الاكتساب اللغوي، قد زلزلت فعلا فكرة التقليد، وأصبح من الصعب أن تعد عاملا حاسما في عملية الاكتساب. (حلمي، 2002، الصفحات 100 - 101) وذلك لوجود جوانب أساسية في اللغة لا يمكن أن تكون عرضة للملاحظة المباشرة بحيث تخضع للتقليد، مثل المعاني المتصلة بتركيب الجملة وشبه الجملة؛ أي المعاني المجردة للقواعد النحوية والصرفية التي تعد جزءا من القدرة اللغوية عند البالغين. لقد استطاع تشو مسكي بنظرته هذه أن ينقل البحث اللغوي من الاقتصار على الوصف والتحليل دون التفسير، إلى محاولة تفسير الظواهر والتفرقة بين القدرة اللغوية والأداء، واهتم أتباع هذا الاتجاه بدراسة العقل البشري ودوره في العملية اللغوية لمحاولة تفسير الظواهر اللغوية. (داوود، 2001، صفحة 92)

3 - مجالات البحث اللغوي النفسي

إن تحديد العوامل النفسية التي تؤثر وتغير في الأداء اللغوي، أو التي تقع خلف الكفاءة اللغوية بالاصطلاح التشومسكي، هو الموضوع الرئيس لهذا العلم. فالعلاقة بين اللغة والنفس البشرية، أو بين اللغة والعقل البشري، هي الاهتمام الأساس أو العام لعلم اللغة النفسي. (عبده، 1984، صفحة 10) فاهتمام علم اللغة النفسي واقع على عملية الكلام ككل، بما فيها نية الإبلاغ لدى المتكلم، وما يتبعها من عملية الترميز المرسلة التي تتفق وأهداف المتكلم وتتماشى مع مقاصده، لينتهي عند عملية الالتقاط - الرموز -، ومحاولة تحليلها وفهمها من قبل المستمع. (الطبال، 1993، صفحة 111)

وإذا كان علم اللغة يختص بدراسة المستوى الصوتي وإصدار الكلام أو بالأحرى الصوت، وذلك بانطلاق الهواء من الرئتين بضغط من الحجاب الحاجز، ومرورا بالقصبة الهوائية والحنجرة والحلق والفم انتهاء بالشفتين، ومن ثمة انتقال هذا الصوت إلى المستمع بهذه الموجات والعمليات السمعية التي تجعله قادرا على التقاط الصوت عبر الهواء. فعلم اللغة النفسي يبحث في العمليات العقلية التي يقوم بها المستقبل للكلام بفك شفرة الرموز الصوتية لغاية فهم المقصود وإدراكه، والبحث عن القدرة التي يمتلكها المتكلم والسامع على إنتاج اللغة وفهمها. وذلك عن طريق امتلاكه لمجموعة من الاستعدادات والقواعد النحوية، والتي تمكنه من إنتاج عدد لا نهائي من الجمل، وهو ما يمثل جوهر النظرية التشومسكية التوليدية. (الطبال، 1993، الصفحات 91 - 92)

إن تحديد اهتمامات علم اللغة النفسي ومجالات البحث فيه، إنما يكون بالنظر إلى المشكلات التي يطرحها والحلول التي يقترحها لهذه المشكلات، أو من خلال الإجابات التي تشغل بال الباحثين. (مجاهد، 2013، صفحة 91) وقد نجمل حديثنا عن مجالات اللسانيات النفسية ومجالات علم اللغة النفسي فيما يلي:

- اهتمام اللسانيات النفسية بظاهرة اكتساب اللغة، ويعود ذلك إلى تأثرها بنظرية القواعد التوليدية لتشومسكي، والذي يرى أن الأطفال يولدون وهم مزودون بقدرة فطرية للمبادئ الصورية التي تحدد التراكيب النحوية في جميع اللغات. هذه القدرة الفطرية أو (المعرفة النظرية) هي عماد اكتساب اللغة وسرعتها لديهم. (الجليل، صفحة 191) وفي هذا السياق يسعى علم اللغة النفسي إلى« دراسة المؤثرات النفسية التي تعصف بهذا الاكتساب سلبا وإيجابا، وكذلك الوقوف على المهارات العقلية»، وأيضا يهدف إلى «دراسة العلاقة بين اللغة والفكر». و أيضا عملية الاكتساب و« كيفية فهم الجمل والكلمات وسرعة الفهم وخطوات الفهم وعوامل صعوبة الفهم ». (داوود، 2001، صفحة 92)

- التعرف على تركيب الذاكرة من الناحية اللغوية، وطبيعة التذكر وعملية اختزان الألفاظ والمفردات في الذاكرة، وهو ما يطلق عليه اسم " المعجم الذهني". و أيضا التعرف على« أسلوب استدعاء المخزون اللغوي من الذاكرة »، (داوود، 2001، صفحة 93) ومنه كيف تتم عملية اختيار المتكلم للمفردات التي يحتاجها للتعبير عن أفكاره وتوصيلها إلى الطرف الآخر بطريقة تؤدي إلى فهمها في سهولة ويسر؟ وكيف يمكن للمستمع أن يحلل الأصوات التي يلتقطها إلى وحدات حتى يمكنه التوصل إلى المعنى أو المعاني التي يريدها المتكلم؟ فمجال علم اللغة النفسي إذن دراسة العمليات العقلية عند المتحدث قبل صدور اللغة وعند صدور اللغة من قبل المتكلم، ويدرس الاكتساب والإدراك لديه وفق المستويات الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.

إن عمليات الاستدعاء تقع في بؤرة اهتمامات الدراسات النفسولغوية حيث تخضع إلى اختبارات خاصة. ومثال ذلك أن يعطي المتكلم كلمة ما، وتصاغ غالبا بدون أن يكون لها معنى معجمي. ولكنها تستدعى إلى العقل عن طريق بنيتها النحوية مفردات موجودة في لغة يعينها، ثم يطلب من المتكلم أو الشخص المجرى عليه الاختبار أن يجيب سريعا بأول كلمة تخطر على باله، (كريم، 2001، صفحة 93) مع الأخذ بعين الاعتبار الخلفية الاجتماعية والثقافية لهذا الشخص. لأن الانعكاس الإستدعائي محكوم إلى حد كبير بهما. ثم تصنف نتائج الاختبار عن طريق استخدام طرق إحصائية. وعلى أساس هذه النتائج تبذل جهود لمحاولة التوصل إلى القوانين الحاكمة في عملية الاستدعاء. (إيفيتش، 2000، صفحة 310)

فعندما تعطى شخصا ما كلمة حتى وإن لم يكن لديها معنى مفهوم، ويطلب منه أن يتلفظ بكلمة مشابهة لها، فإنه يقوم بعملية عقلية تستدعي من مخزونه اللغوي الذهني كلمة مشابهة لها. ويسعى العلماء في ذلك إلى فهم الآليات المتحكمة في عملية الاستدعاء لهذه الكلمة المشابهة بالضبط وليس لسواها، وفي طول عملية الاستدعاء للألفاظ تراقب وتلاحظ عن طريق اللغة المنطوقة التي أرست اللسانيات مبادئ دراستها.

- محاولة التعرف عن كثب « على قدرة الطفل على اكتساب اللغة؛ متى وكيف؟». (داوود، 2001، صفحة 92) وما الطريق الذي يتبعه الأطفال في تعلم كيفية إنتاج اللغة وفهمها في المراحل العمرية المبكرة؟ ويبدأ ذلك بالتعرف على اكتسابه للمفردات، وطريقة بناء الكلمة وتكوين الجملة، والعلاقة بين النمو اللغوي للطفل ونموه الإدراكي.

- دراسة أمراض اللغة واضطرابات النطق وعيوب الكلام، مثل: تأخر الكلام، احتباس الكلام، صعوبة القراءة، التأتأة، اللعثمة، اللجلجة، (خليل، 1998، صفحة 194) والخمخمة أو ما يسمى بالخنف« وهو صعوبة في نطق أصوات اللغة

خاصة صوتي الميم والنون». (الجليل، صفحة 199)وغير ذلك من الظواهر ذات الصلة باللغة المنطوقة والتي تؤدي إلى عدم البيان وهو ضد الفصاحة، وتؤدي إلى " اللحن" بكل جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

- كشف العلاقة بين اللغة والأمراض النفسية الذي يندرج تحته ما يسمى " التخلف العقلي" الذي يؤدي إلى بعض الأمراض اللغوية. ويظهر ذلك في تأويل الكلام على غير ما يفهم عامة الناس، والهذيان والهلوسة السمعية وغيرها. (ياقوت، 2003، الصفحات 170 - 171)

- دراسة ما يسمى " باللغة الانفعالية "، وذلك بتحليل الأنماط اللغوية وما تحمله من معنى "تفسير انفعالي" الذي هو غير المعنى العلمي الاصطلاحي العام للكلمة في المعجم. و ذلك لأن الكثير من ألفاظنا إنما هي مشحونة بمعاني نفسية انفعالية، عكس خبرات الفرد الخاصة والجماعية، وهذا هو التمايز الدلالي للكلمات. وتدرس اللسانيات النفسية هنا أيضا اختلاف نسبة العاطفة بين الأشخاص وذلك عن طريق ملاحظة التعبيرات اللغوية لديهم. فمثلا« التعبيرات التي هي تعاطف متدفق في مجتمع ريفي بسيط ربما تبدو أحيانا لإنسان المدينة المعقد نوعا من الجلافة ». (إيفيتش، 2000، صفحة 312) ويرى علماء اللسانيات النفسية أن نوع الاتصال لدى الفرد يبرز شخصيته.

- و ثمة مجال آخر من مجالات اللسانيات النفسية وهو« كيفية تعلم اللغة الأجنبية، حيث سعى علماؤها إلى تأسيس نظرية لتعليم اللغات الأجنبية. أي كيف يمكن لتعليم اللغات أن يكون أكثر سهولة وسرعة وفاعلية ». (إيفيتش، 2000، صفحة 312) وفي هذا المضمار تجدر الإشارة إلى جانب الدلالة اللغوية الذي يحتل موضعا هاما في علم اللغة، والذي يأخذ الموضع ذاته في علم اللغة النفسي لأنه يعالج الجانب الذاتي للغة. وفي مجال علم النفس يهتم علماؤه بالإدراك، وحيث كان الإدراك ظاهرة فردية فقد طوروا وسائل دراستهم ليعرفوا مدى الاختلاف بين الناس في إدراكهم للكلمات أو تحديد ملامحها الدلالية.

إن العلاقة التي قامت بين علم الدلالة وعلم اللغة النفسي، كانت بداية بالتفرقة بين ما يعرف تحت اسم المضمون المنطقي والمضمون النفسي. حيث الأول هو ما حملته القواميس على الأغلب، وفهمه واحد بين الأفراد وإن لم يكن كذلك فهو متقارب. في حين الثاني – المضمون النفسي- شديد التباين بين المتكلمين؛ لكن هذا لا يمنع وجود اشتراك بينهم – الناطقين- في كثير من دلالاته التي قد تحملها الكلمة الواحدة مع وجوب الإشارة إلى أن كلا منهما مرتبط بالآخر. (السعران، 2003، الصفحات 277 - 278)

ذلك أن الكلمة حينما تصدر فإنها تكون مشبعة بكليهما "المنطقي والنفسي". وعلى سبيل التمثيل لفظة "الأهرام" التي تفهم عند الغالبية إن لم تكن عند الجميع على أنها تلك الأبنية الشامخة التي بناها الفراعنة في" الجيزة " من زمن سحيق، وعليه فهي معان شبه مشتركة متداولة. لكن قد ينفرد شخص ما بتجربة مرّ بها كانت على صلة بتلك "الأهرام"، فيشير سماعه لهذه اللفظة بتلك المتعة مثلا التي أحسها عند زيارته لها وهو طفل مع والده مثلا. لكن قد تثير في نفس آخر الحزن والأسى لأنها تذكره بحادث أليم واجهه عند زيارته لها. (السعران، 2003، الصفحات 277 - 278) إذن الخلافات الفردية في تجربة الملفوظات تظهر فروقا في المعاني المستدعاة.

إذن من خلال هذه التشابكات بين الأسئلة وإجاباتها حول اهتمامات علم اللغة النفسي ومجالاته وميادينه، يمكننا استخلاص تعريف دقيق له، فهو العلم الذي يبحث في ظواهر اللغة ونظرياتها، مستخدما أحد مناهج علم النفس.

4 - الخاتمة ونتائج الدراسة

انتهت الدراسة التحليلية للسانيات النفسية إلى النتائج التالية:

- تبنت الدراسات في العلوم الإنسانية مبادئ اللسانية الحديثة الغربية، حيث وُجد أن جميع العلوم الإنسانية في أوربا قد انتهجت في نهاية الأمر حقل اللسانيات، كما أصبحت مبادئها الركائز الأساسية للدراسات والمعارف الإنسانية المختلفة.
- يرى الدارسون أن علماء النفس الذين درسوا اللغة قد تأثروا بمؤثرين أساسيين هما؛ نظرية التعلم، ونظرية الاتصال التي تبحث في عملية الاتصال بعامة، والاتصال اللغوي بخاصة' وبموجب التأثر بهاتين النظرتين اكتمل تأسيس علم اللسانيات النفسانية، ومن هنا أخذ هذا العلم خصائصه المنهجية وأصبح مستقلا بذاته.
- استغل علم اللسانيات النفسية النظريات اللسانية في مجال البحث النفسي, حيث أولى علماء النفس اهتمامهم زمنا طويلا للظواهر اللسانية، وذلك أنهم عدوها مصادر موثوقا بها للمعلومات في موضوعات متنوعة ذات أهمية بالغة للدراسات النفسية.
- تبلور هذا العلم واستقل وأصبح له أدواته العلمية وإجراءاته التطبيقية خاصة بعد ظهور النظرية التوليدية التحويلية على يد تشومسكي (Chomsky).
- يعتبر علم اللسانيات النفسية من نتائج أفكار تشو مسكي اللغوية، حيث استطاع أن ينقل البحث اللغوي من الاقتصار على الوصف والتحليل دون التفسير، إلى محاولة تفسير الظواهر ومحاولة التفرقة بين القدرة اللغوية والأداء، وقد اهتم أصحاب هذا الاتجاه بدراسة العقل البشري ودوره في العملية اللغوية لمحاولة تفسير الظواهر اللغوية.
- كان تأسيس هذا العلم سببا في تجميع الاهتمامات المشتركة للسانيين وعلماء النفس. فكان علم اللغة النفسي يهتم بدراسة حالات الإنسان أثناء عملية التواصل، ومن ثم يكون اهتمامه المباشر ينصب على الظواهر العضوية والنفسانية لإنتاج الكلام وإدراكه، والمواقف العاطفية والذهنية تجاه حدث بعينه من أحداث التواصل، والخلفية الثقافية والاجتماعية التي تشكلت فيها نفسية الفرد في مواجهتها.
- من أهم مجالات البحث لهذا العلم دراسة طرائق وأساليب اكتساب الطفل لغته الأم. كما يسعى هذا العلم أيضا إلى دراسة المؤثرات النفسية التي تعصف بهذا الاكتساب سلبا و إيجابا، و كذلك الوقوف على المهارات العقلية، كما يهدف أيضا الى دراسة العلاقة بين اللغة والفكر. حيث يدرس في عملية الاكتساب كيفية فهم الجمل والكلمات، وسرعة الفهم، وخطوات الفهم، وعوامل صعوبة الفهم.
- ومن اهتماماته أيضا دراسة تركيب الذاكرة من الناحية اللغوية وطبيعة التذكر, وأسلوب استدعاء المخزون اللغوي من الذاكرة. أي أنه يدرس العمليات العقلية عند المتحدث قبل صدور اللغة، وعند صدور اللغة من قبل المتكلم. كما يدرس الاكتساب والإدراك لديه وفق المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.
- يهتم علم اللغة النفسي بدراسة أمراض الكلام مثل؛ تأخر الكلام، احتباس الكلام، عسر القراءة. حيث أكد علماء هذا العلم على أن الدراسة النفسية يجب أن تستعين أيضا بمعطيات علم اللسان.

قائمة المراجع:

1 رابح بوحوش(2006)، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، عنابة: دار العلوم للنشر والتوزيع.
2 سعد مصلوح (2002)، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، القاهرة: عالم الكتب.
3 نور الهدى لونش(2001)، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الإسكندرية ــ لازاريطة: المكتبة الجامعية.
4 محمود سليمان ياقوت (2003)، منهج البحث اللغوي، الاسكندرية – الأزاريطة: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع.
5 أحمد مختار عمر (1988)، علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتاب.

6 كريم زكي حسام الدين (2001)، أصول تراثية في علم اللغة، القاهرة: دار الرشاد.
7 صالح بلعيد (2003)، دروس في اللسانيات التطبيقية، الجزائر- بو زريعة: دار هومة للطباعة والنشر.
8 مليكا ايفيتش(2000) جاهات البحث اللساني، تحقيق سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، الناشر، الكويت: المجلس الأعلى للثقافة.
9 حلمي خليل(2002)، دراسات في اللسانيات التطبيقية، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
10 جلال شمس الدين(2003)، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم اللغة النفسي، الإسكندرية ــ لازاريطة: مطبعة الانتصار للطباعة والنشر.
11 محمد شحاته ربيع (2005)، تاريخ علم النفس ومدارسه، دار المعرفة الجامعية.
12 حلمي خليل(1998)، دراسات في اللغة والمعاجم، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
13 أحمد مومن (2002)، اللسانيات النشأة والتطور، الجزائرــ ابن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية.
14 عبد القادر عبد الجليل (2002)، علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات، عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع.
15 سالم شاكر(1992)، مدخل إلى علم الدلالة، ت: محمد يحياتين، الجزائرــ ابن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية.
16 محمد محمد داود (2001)، العربية وعلم اللغة الحديث، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
17 داود عبده (1984)، محاضرات في علم اللغة النفسي، الكويت: المطبوعات الجامعية
18 فاطمة الطبال بركة (1993)، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، دراسة ونصوص، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
19 عبد الكريم مجاهد(2013)، علم اللسان العربي وفقه العربية ، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.
20 حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة(1998)، القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
21 محمود السعران (2003)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بيروت: دار النهضة للطباعة والنشر.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

د. عزيز كعواش ، (2021) **سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة** دراسة في مبادئ البحث اللغوي النفسي ، مجلة الباحث في العلوم الانسانية و الاجتماعية ، المجلد 13(02)2021 ، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص.ص 451-460